

الحركة الاستعرابية الإسبانية *

مدرسة كوديرا نموذجا

د. مصطفى الغديري

كلية الآداب بوجدة

جذور الحركة الاستعرابية الإسبانية

بعد التعصب والحق، ضد كل ما هو عربي وإسلامي، اللذين ظهرا عقب سقوط الأندلس نهائيا سنة 1492/898، شرعت رياح حركة التنوير "LA ILUSTRACIÓN" في الهبوب على القارة الأوروبية ليصل أثرها إلى إسبانيا الكاثوليكية، بدأ الاهتمام بالحضارة الأندلسية. وكانت البداية الجادقي النصف الثاني من القرن 18/12 حين استدعى الملك الكاثوليكي كارلوس الثالث الراهب الكاثوليكي اللبناني الأصل "ميخائيل الغديري" من أجل

(*) اعتمدت مصطلح الاستعراب الإسباني بدل الاستشراق لما هناك من فرق بينهما . فالاستعراب الإسباني بدأ حركة ثقافية علمية أكاديمية منصبة بالدرجة الأولى على دراسة التراث الأندلسي ، بكل أشكاله، وما له علاقة بهذا التراث في الزمان والمكان على اعتباره يمثل المصادر الأساسية لدراسة ومعرفة إسبانية الإسلامية ، وهي حركة حديثة العهد يعود تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر قامت بمجهودات فردية وبدوافع أكاديمية في الدرجة الأولى بين الجامعيين في بعض الجامعات الإسبانية ، وخاصة جامعة مدريد وجامعة غرناطة وجامعة سرقسطة . بينما الحركة الاستشراقية تهتم بكل ما هو مشرقى وشرقى، أي ما أنتجته قرائح أبناء منطقة جغرافية تمتد من شمال إفريقيا إلى الشرق الأقصى تدعمه مختلف المؤسسات السياسية والعسكرية بغية معرفة الفكر الشرقي وتراثه لتسهيل مهمة التدخل العسكري والاقتصادي والأيدولوجي، شارك فيها الأكاديميون من العسكريين والسياسيين وغير الأكاديميين بإيعاز من الأنظمة الأوروبية الاستعمارية التي كانت تسعى إلى التوسع الاستعماري . لهذا السبب نجد أكثر الدارسين الإسبان يرفضون أن يطلق عليهم لفظ المستشرق (ينظر في ذلك الحوار مع المستعرب الإسباني " فيديريكو أريوس بجريدة العلم عدد : 26 / 11 / 1996 والحوار الذي أجري مع المستعرب الإسباني بيدرو مونتابيث في الملحق الثقافي لجريدة العلم عدد 2002/7/27)، فكل منهما يرفض أن يسمى بالمستشرق .

فهرسة المخطوطات العربية التي تحتوي عليها مكتبة الأسكوريال. وخلال عقدين من الزمن صدر لهذا الباحث اليسوعي فهرسة باللغة اللاتينية في مجلدين ضخمين بعنوان: " BIBLIOTECA ARABICO-HISPANA ESCURIALEUSIS " صدر الأول سنة 1174 / 1760 والثاني سنة 1184 / 1770 ⁽¹⁾. وكان عمل ميخائيل الغزيري هذا منطلقاً لأبحاث واهتمامات بالتراث الحضاري والثقافي الأندلسيين. إذ نجد في هذه الأثناء يسوعياً آخر - وهو " خوان أندريس " الإسباني **Juán Andrés**، الذي كانت له معرفة واسعة بالتراث العربي من خلال تتلمذه على أستاذه ميخائيل الغزيري وإطلاعه على مخطوطات الأسكوريال العربية - يصرح بأن أوروبا مدينة للعرب والمسلمين في كل العلوم والفنون والآداب ، وأنها قلدت المسلمين في كل مناحي حياتهم الاجتماعية والمعيشية. وهذا الأمر هو الذي دفع الكنيسة الكاثوليكية إلى التشطيب عليه من لائحة رجال الدين اليسوعيين ، كما ساهمت في نفيه وطرده من وطنه إسبانيا سنة 1181 / 1767. ولم يمض وقت طويل على إقامته بمنفاه بإيطاليا حتى صدرت له موسوعته الشهيرة "الآداب العالمية وتطورها " ⁽²⁾. وفي هذا الكتاب أظهر بكل جرأة ما للعرب والمسلمين من الفضل على نهضة أوروبا وانتقالها من مرحلة الهمجية إلى المدنية . وهو ما اعتبر ، آنذاك، إهانة مقصودة للمجتمع

(1) ينظر كتاب المختار الأنيس من كتاب عدة الجليس تأليف عدنان محمد آل طعمة ص: 11- 15 . الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع 1987 ، وكذلك كتاب " ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي " ترجمة محمود علي مكي ص: 7، المجلس الأعلى للثقافة بمصر ط. أولى سنة 1998 - سلسلة المشروع القومي للترجمة رقم 108. وكذلك كتاب التأثير العربي في الثقافة الإسبانية، حكمت علي الأوسي ص. 34 بغداد 1984 .
(2) Del l'origine ,de Progressi e dello stato attuale d'ogni letteratura , 8 vols . parma 1782 -1799 .

ثم ترجم بعد ذلك إلى اللغة الإسبانية سنة 1806 في سبع مجلدات :

" Origen , Progresos ,y estado actual de toda literatura " . ولمزيد من التوضيح عن هذا الكتاب ينظر :

J. L . Alborg : Historia de la literatura Española . Tomo III : 864 . ed. Gredos . Madrid 1978

الأوروبي، كما اعتبرت آراؤه ضرباً من الخيال أو مسّاً من الجنون، رغم أن هناك من أيدّه في ما ذهب إليه (3). وهو ما جعل الكثير من الأقلام الأوروبية تهاجمه بعنف وشدة، ومن بينهم بلديّه إستيبان أرتيغا **Esteban Arteaga** في كتابه "حول تأثير العرب في نشأة الشعر الحديث في أوروبا" (4). لكن الأيام أثبتت صحة ما انتهى إليه خوان أندرس من النتائج في كتابه الموسوعي، حين بدأت الدراسات العربية تقوى مع تزايد اهتمام الأوروبيين بالتراث العربي - الإسلامي عامة، والأندلسي منه خاصة (5).

وربما كان هذا الكتاب من المؤلفات الأولى التي دافعت عن نظرية التأثير العربي في نشأة الآداب الأوروبية. ويذهب الدكتور محمود علي مكي إلى أنه أول كتاب ظهر في أوروبا في ميدان الأدب المقارن قبل أن يظهر هذا الفرع من فروع الدراسات الأدبية في فرنسا في مطلع القرن 19/13 (6).

وبقيت نظرية خوان أندريس محلّ أخذ ورد وصراع دفعت إلى الجدل الحاد عن مدى تأثير التراث العربي الإسلامي في معارف الأوروبيين عامة، والشعر العربي في الشعر الأوروبي خاصة، منذ أواخر القرن 18/12. وقد حمل لواء البحث والنقضي في تاريخ الأندلس خلال الوجود العربي الإسلامي على أرض شبه جزيرة إيبيريا المستعرب

(3) من أمثال جيرولامو تيورابوسكي **Girolamo Tioraboschi** الذي نشر كتابه في الاتجاه الذي ذهب إليه خوان أندريس بعنوان "تاريخ الألب الإيطالي"

Letteratura Italiana. Girolamo Tioraboschi : Storia della Roma 1798.

(4) **Esteban Arteaga : Della influenza degli Arabi sull'Origine della Poesia Moderna in Europa , Roma 1791 .**

(5) وأكد نظرية خوان أندريس المستشرق بورجستال في مقالتيه المنشورتين بالمجلة الآسيوية في عام 1839 و 1949 حيث صرح فيهما بوجود تشابه بين الشعر الأوروبي وبين الشعر الغنائي العربي. وربما كان أكثر جرأة في تأييد خوان أندريس المستشرق الألماني أدولف فريدريش فون شاك في كتابه الشعر العربي في إسبانيا وصقلية صدر 1865 (ينظر ترجمة الطاهر أحمد مكي الجزء الأول دار المعارف بمصر 1991 ص 93 وما بعدها).

(6) عن كتاب: ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي لمحمود علي مكي، ص 7 .

الإسباني "خوسي أنطونيو كوندي" (1765/1179 - 1820/1236) خلال توليه مسؤولية إدارة خزانة الأسكوريال أثناء الاحتلال الفرنسي لإسبانيا (1808/1223 - 1813/1229). وكان من مؤيدي نابليون في هذا الغزو ، وهو ما جعله يفر إلى باريس أثناء الجلاء الفرنسي . وخلال إقامته بفرنسا كتب كتابه المنصف لتاريخ الوجود العربي الإسلامي في الأندلس بعنوان " تاريخ الحكم العربي في إسبانيا " ⁽⁷⁾ . ولربما يعتبر هذا المستعرب أول إسباني وجه اهتمامه إلى دراسة الشعر الأندلسي ، وقام بترجمة نماذج عديدة منه ، كما كان كتابه هذا مصدرا جديدا في اتجاه إنصاف التراث الأدبي في الأندلس ودوره الإيجابي في النهضة الأدبية الأوروبية ، وهو ما أكده المستشرق الأمريكي جيمس مونرو في كتابه "الإسلام والعرب في الدراسات الإسبانية من القرن السادس عشر إلى العصر الحاضر " ⁽⁸⁾ . ولربما كان هذا الإنصاف هو الذي دفع المستشرق الهولندي رينهارت دوزي (1820/1236 - 1883/1301) المعروف بعدائه للإسلام والعرب عامة، والمغاربة منهم خاصة ، إلى شن حملة عنيفة عليه وعلى كتابه كادت أن تفقد ثقة الباحثين في هذا الكتاب ⁽⁹⁾ . وكان من ثمرات أعمال هذا المستعرب ما قام به كسبار ماريادي ألباريت من ترجمة مختارات من الشعر العربي والتركي إلى اللغة القشتالية ⁽¹⁰⁾ ، وقدم لها بقوله: " إن هذه الأشعار تشتمل على صور رائعة وجميلة وعاطفة راقية أعلى بكثير مما نجده في الأشعار الواردة علينا من وراء جبال البرانس " ⁽¹¹⁾ .

وفي أجواء الاهتمام بالتراث الأندلسي في إسبانيا ظهر عالم آخر سيكون له دور بارز

(7) Jose Antonio Conde : Historia de la dominación de los árabes en España . Madrid 1820-1821 .
- نشر هذا الكتاب بعيد وفاته بقليل .

(8) ينظر كتابه : James T. Monroe : Islam and the Arabs in Spanish Scholarship (the Present) p.p. 50-66 Sixteenth Century to .

(9) ينظر في ذلك كتاب ثلاث: دراسات عن الشعر الأندلسي ترجمة محمود علي مكي، ص8.

(10) Gaspar Maria de Nava Alvarez , Conde de Noroña " Poesias asiáticas puestas en verso Castellano Paris 1833.

(11) م-ن، ص 6 .

في الدراسات الاستعرابية ، إن لم نقل كانت له الريادة في هذا المجال ، وهو الأستاذ باسكوال دي غايانغوس (1809 / 1224 - 1897/1315) **Pascual de Gayangos** الذي ستظهر شخصيته بارزة في ميدان الدراسات الاستعرابية في النصف الثاني من القرن 19/13 ، وعلى يديه سيبرز الاستعراب في شكل مدرسة مكتملة العناصر والأركان في إسبانيا، إذ هو الذي كون أجيالا من المهتمين والدارسين للتراث الأندلسي⁽¹²⁾. وكان هذا الرجل ينتمي إلى أسرة إسبانية ميسورة أرسلته منذ طفولته إلى باريس للدراسة ، وهناك التقى بالعالم الفرنسي **Silvestre de Sacy** وهو الذي وجهه إلى الدراسات العربية ، ثم انتقل بعد ذلك إلى إنجلترا ليتلقى العلم على كبار علماء الاستشراق ، وكتب عدة بحوث بالفرنسية والإسبانية والإنجليزية وساعدته ثروة والده والمناصب الدبلوماسية التي تقلب فيها على القيام بعدة جولات في العالم العربي عامة ، وبلدان المغرب خاصة ، فحصل على عدة مخطوطات عربية (أغلبها يوجد اليوم بالمكتبة الوطنية بمدريد بالجناح الذي يحمل اسمه) . وكانت النتيجة من جمعه هذه المخطوطات إصداره كتاب " تاريخ الأسر الإسلامية الحاكمة بالأندلس " باللغة الإنجليزية في مجلدين ضخمين⁽¹³⁾ ، وهو عبارة عن ترجمة لقسم كبير من كتاب نفح الطيب للمقري في صياغة جديدة. كما حقق كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية ونشره.

وإثر إنجازه هذا العمل نودي عليه ليكون أستاذا لكرسي اللغة العربية بجامعة مدريد حيث قام بتدريسها على مدى النصف الثاني من القرن 19/13، وكون خلالها مجموعة من

(12) عن حياة هذا العالم وجهوده في خدمة التراث العربي ينظر مقالة الباحثة : مانويلا مانتشاريس دي ثيري بعنوان : باسكوال غايانغوس والدراسات العربية في مجلة الأندلس :

Manuela Manzanares de Cirre :Don Pascual de Gayangos y los estudios arabes, Rev. Al-Andalus vol . XXVIII 1963 p.p.445 _ 461 .

وينظر أيضا مقالا لمصطفى الشكعة " مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس " في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية : 276/2 - 277 ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري .
(13) History of the Mohammedan Dynasties in Spain . London . 1840 - 1861.

الطلبة الذين سيتخصصون في الدراسات العربية لغة وآداباً وتاريخاً وفلسفة، ليصبح هؤلاء حاملي مشعل الدراسات الاستعرابية الإسبانية التي استمرت بأهم الجامعات الإسبانية، وما يزال أثرها إلى اليوم بسبب تأثيره في طلبته ورعايته الأبوية لهم. وكان من أبرز تلامذته الذين تلقوا العربية على يديه، وأكثرهم تأثراً به البروفيسور فرانسيسكو كوديرا إي زيدن

• FRANCISCUS CODERA Y ZAYDIN

فرانسيسكو كوديرا إي زيدن رأس المدرسة الاستعرابية الإسبانية

(1917/ 1336 - 1836/1252)

إذا كان البروفيسور باسكوال دي غايانغوس Pascual de Gayangos هو الذي وضع اللبنة الأولى - بجامعة مدريد - لتكوين جيل من المستعربين والمهتمين بالتراث العربي عامة، فإن كوديرا هو أول من أسس مدرسة الاستعراب الإسباني لخدمة تراث الأندلس بشتى فنونه ومعارفه. فهذا الرجل تأثر بشيخه وأبيه الروحي البروفيسور باسكوال دي غايانغوس وأقبل على دراسة العربية وعلومها "في تجرد أشبه بتبطل المتصوفة"، كما يقول الأستاذ محمود علي مكي⁽¹⁴⁾. ونتيجة لإتقانه علوم العربية تمكن من أن يصبح أستاذ كرسي هذه اللغة بعدة جامعات إسبانية، وهو ما يسر اهتمام الدارسين الإسبان بها في مختلف الجامعات بعد أن كانت قصراً على جامعة مدريد المركزية، إذ درّس في جامعتي سرقسطة وغرناطة خلال عدة سنوات قبل أن يتبوأ كرسي أستاذه غايانغوس بجامعة مدريد سنة 1874/1291 حيث اجتمعت حوله ثلة من الطلبة الباحثين في تراث العربية عامة، وتراث الأندلس خاصة في جميع مناحي المعرفة والفنون. وكان كوديرا من الذين يؤمنون بأن لا سبيل إلى دراسة التراث الأندلسي قبل تحقيقه ونشر ما هو مخطوط منه في مختلف المكتبات الإسبانية، إذ كان - آنذاك - أكثر تراث الأندلس والأندلسيين ما يزال شبه مجهول بسبب وجود أكثره في مخطوطات وكنائش في دهاليز مكتبات الأديرة والأسكوريات. وقرر منذ البداية وضع خطة لنشر مائة مخطوط من أمهات التراث الأندلسي، أغلبها

(14) ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، ص 9.

مما له صلة قوية بتاريخ الأندلس الثقافي، وقام باختيارها وجمع أصولها من مختلف المكتبات بمساعدة ثثة من طلبته الذين تعاونوا معه في هذه المهمة الجلييلة والصعبة لأمرين :

أولهما : صعوبة قراءة الخط العربي المخطوط .

ثانيهما : عدم وجود مطبعة تطبع بالحرف العربي ، آنذاك ، بإسبانيا.

وكان مشروعه هذا قد قدمه للدولة الإسبانية فساهمت في تمويله ، ولكن ما لبث أن توقف بعد أن استخرج عشرة مجلدات من اللائحة التي كان قد وضعها في الخطة .

ونظرا إلى عدم وجود مطبعة تطبع الكتب العربية قرر صنع الحرف العربي بمعية تلامذته الذين ساعدوه في تصفيف الحروف وطبع الكتب في مطبعة أسسها بمنزله (15) . وهكذا استطاع كوديرا إخراج عشرة مجلدات من سلسلة المكتبة العربية - الإسبانية

Bibliotheca Arabico-Hispana وهي كالآتي :

- كتاب الصلة لابن بشكوال (في جزأين) مدريد سنة 1301 / 1883 .
- كتاب بغية الملتبس للضببي بمدرید سنة 1303 / 1885 .
- المعجم في أصحاب القاضي لابن الأبار بمدرید سنة 1303 / 1885 .
- كتاب التكملة لابن الأبار (في جزأين) بمدرید سنة 1304 / 1886 .
- تاريخ علماء الأندلس (في جزأين) بمدرید سنة 1308 / 1890 .
- فهرسة ابن خير الإشبيلي بمعية تلميذه ريبيرا بسر قسطة (في جزأين) سنة 1311 / 1893 .
- وقد خلف هذا المستعرب ثثة عريضة من تلامذته الذين تخرجوا على يديه ، وتشبعوا به في تقديره الحضارة الإسلامية الأندلسية وراثتها ، وهؤلاء هم الذين سيتابعون مسيرته

(15) حول جهود هذا العالم الجليل في الدراسات الاستعرابية ينظر مقال المستعرب إميليو غارسيا غومس بمناسبة تكريمه المنشور بمجلة الأندلس " تكريم مهدى لفرنسيسكو كوديرا " وقد أورد فيه قصة طبع هذه الكتب ومعاناته وصبره الدؤوب.

E. García Gómez : Homenaje a Don Francisco Codera . Al- Andalus .vol. XV año 1950 , pp. 263-274 .

ويستكملون مشروعه في ميدان الدراسات الاستعرابية الذي راوده طوال حياته . وكان من أشهر هؤلاء: خوليان ريبيرا طراغو ، وميكيّل أسين بالثيوس . ومن نبل كوديرا وشهامته وإيثاره أن تخلى عن كرسي اللغة العربية بجامعة مدريد - يوم كانت كراسي اللغة العربية قليلة - وطلب إحالته على التقاعد ليسند هذا الكرسي إلى تلميذه "أسين بالثيوس" سنة 1320 / 1902.

ووفاء لشهامة هذا الرجل ولرعايته طلبته الذين غرس فيهم روح الحب للعلم والإنصاف والتقدير للحضارة الأندلسية والاعتداد بها على اعتبار أنها جزءا من تاريخ إسبانيا ، قرر تلامذته أن يطلقوا على أنفسهم لفظة عربية « بني كوديرا BENI CODERA » وهي تسمية تعبر على وفائهم للغة العربية من جهة ، وارتباطهم بشيخهم برباط الإنصاف للعصر الإسلامي في إسبانيا . وبالفعل جسد تلامذته مشروعه العلمي وأنجزوه وكونوا أجيالا في نفس الاتجاه، مما يمكن تسمية هؤلاء بحفدة كوديرا ثم حفدة أبنائه في ميدان الدراسات الاستعرابية الإسبانية ، وصار لهؤلاء أتباع في إسبانيا وفي أمريكا اللاتينية الناطقة باللغة الإسبانية ، يجمعهم شعاره الذي طالما رده، ويتلخص في الجهر بفضل المسلمين على الحضارة الإنسانية ، وهو الذي دعا إلى تعريب أوروبا ، إذ قال " من الخطأ العمل على « أوربة » إسبانيا ، بل من الواجب تعريب أوروبا" (16) . وحسبنا في هذا المقام أن نتعرض لبعض من هؤلاء والإشارة إلى أعمالهم في هذا الاتجاه:

- خوليان ريبيرا إي طراغو (1934/1353-1858/1275) Julián Ribera y Tarrago.

يعتبر هذا المستعرب من أبرز تلامذة مدرسة كوديرا ، وهو بلنسي الأصل ومن الذين صاحبوا فرنسيسكو كوديرا وأخذوا عنه وتأثروا به وباتجاهه ، عين مدرسا للغة العربية في البداية بجامعة سرقسطة بين 1887/1305 و 1905/1323 ، ثم عين أستاذا لتاريخ الحضارة العربية ، فأستاذا للأدب الأندلسي بجامعة مدريد المركزية (1913 / 1332) - 1927 / 1346 ، إلى جانب تلميذه وصديقه أسين بالثيوس ، فعضوا في الأكاديمية الملكية

(16) نقلا عن مقال مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بالأندلس لمصطفى الشكعة المنشور في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ج2/ 282 .

الإسبانية ، ثم عين عضوا منتخبا في المجمع اللغوي الملكي (1332/ 1913) ثم في المجمع التاريخي (1334/1915). وكان الرجل شديد التعلق والبحث في ميدان الدراسات العربية تحقيقا ودراسة .ومن أشهر أعماله :

- تحقيق كتاب فهرسة ابن خير الإشبيلي بمعينة أستاذه كوديرا ، كما سبقت الإشارة .
- تحقيق ديوان الزجال الأندلسي ابن قزمان القرطبي ودراسته دراسة مستفيضة لأول مرة ، صحح من خلالها نظريات خاطئة ، تلك التي كانت رائجة في مجال الاستشراق عامة ، وانتهى إلى جملة من النتائج ، وكان من أهمها : أن الشعر التاريخي العربي كان وراء نشأة الملاحم الإسبانية . وأن الموشحات الأندلسية كانت أصلا لأول شعر غنائي أوروبي هو شعر التروبادور .

- تحقيق كتاب تاريخ قضاة قرطبة للخشني وترجمته إلى اللغة الإسبانية .
- تحقيق كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية وترجمته إلى اللغة الإسبانية . وقدم له بدراسة قارن فيها بين تاريخ افتتاح الأندلس وكتاب أخبار مجموعة لمجهول (17). وقد أشاد في دراسته هذه بعظمة الإسلام والمسلمين في الأندلس ، ومن جملة ما قال : " إن أتباع غيطشة يستطيعون أن يفخروا بأنهم ساعدوا على سقوط إسبانيا في عهد موسى بن نصير ، وبأنهم أسهموا أيضا لصالحهم الشخصي في تدعيم الامبراطورية الإسلامية في العصور التالية..." (18) .

- الأصول العربية في فلسفة رايوندو لولو 1899/1317 وقدمه بمناسبة تكريم العالم الإسباني مينينديث إي بلايو (19) .

- رسائل ومحاضرات ، وهو كتاب ضخيم في جزأين جمع فيه مجموعة من المقالات والمحاضرات التي نشرها وقدمها في مناسبات علمية مختلفة (20) .

(17) ترجم هذه المقدمة الطاهر أحمد مكي في كتابه " دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة " ص.ص. 35 - 57 ، ط. دار المعارف بمصر ، ط. أولى 1980 ، ثم أعاد نشره أيضا في كتاب " الأدب الأندلسي من منظور إسباني " ص.ص. 11- 29 القاهرة 1990 .

(18) المرجعان السابقان على التوالي ، ص 57، 29.

(19) ترجمه الطاهر أحمد مكي في كتابه " الأدب الأندلسي من منظور إسباني " ص ص 214- 237 .
(20) Disertaciones y Opúsculos 2 vols . Madrid 1928 .

وكتب كتابه الكبير بعنوان " مدائح العذراء مريم المقدسة " وقدمه ببحث طويل عن تاريخ الموسيقى العربية في المشرق والأندلس (21) .

بالإضافة إلى المؤلفات العديدة التي ألفها خ. ريبيرا في الأدب الأندلسي والتاريخ والفلسفة وتحقيق جملة من مصادر الحضارة والأدب الأندلسيين، نجد الرجل كان يرد على مجموعة من المستشرقين المتحاملين على الإسلام وحضارته ، فعمد إلى تنفيذ آرائهم بحجج دامغة (22). كما يعتبر أيضا خلفا لأستاذه كوديرا في تكوين مجموعة من المستعربين بعد أن كان الساعد الأيمن له في تحقيق مجموعة من الكتب ودراساتها. وهي كتب أخرجها كوديرا في سلسلة " المكتبة العربية - الإسبانية ، كما سبقت الإشارة .

— ميكيل آسين بالثيوس: الركيزة الثانية في مدرسة كوديرا

يعتبر Miguel Asin Palacios (1871/1288 - 1944/1364) من أبرز أعضاء مدرسة " بني كوديرا " . فقد تتلمذ في البداية على يدي خوليان ريبيرا إي طراغو، ثم على كوديرا في مرحلة الدراسات العليا ، وتوثقت عرى الصداقة بينه وبين خ. ريبيرا حينما كان هذا أستاذا للغة العربية بجامعة سرقسطة ، لأن م. أسين بالثيوس أصلا من هذه المدينة الأندلسية ، غير أنه اختار التخصص في الفلسفة والتصوف الإسلاميين ، وكان من أغزر المستعربين الإسبان إنتاجا في هذا المجال المعرفي . وكان مما سمح له أن يلج عالم التصوف والفلسفة، انتماءه لسلك الرهبان وهو في بداية مرحلة شبابه (أي منذ سنة 1313/ 1895). وكان عمره لما يتعد أربعة وعشرين عاما ، وكان خوليان ريبيرا هو الذي وجهه هذا التوجيه، لأن الاستعراب الإسباني لم يكن متفتحا على الفلسفة الإسلامية، ولم تكن هناك دراسات وافية عن التصوف الإسلامي . وفي سنة 1394/ 1896 قدم أطروحته لنيل

(21) Las Cantigas de Santa Maria , Madrid 1922 .

(22) ينظر مقال مصطفى الشكعة في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية: 284/2

الدكتوراه من جامعة مدريد المركزية في موضوع " عقيدة الغزالي وفلسفته الزهدية ". وفي مدريد توثقت صلاته بالأستاذ فرنسيسكو كوديرا وبالعالم الإسباني الكبير مينينديث بيلايو Menéndez Pelayo اللذين شجعا على مواصلة طريقه في هذا التخصص مع الاهتمام بالفلاسفة المسلمين بالأندلس . كما اهتم بنقاط التلاقي بين الفلسفة الإسلامية والمسيحية ، وتأثير الأولى في الثانية . وكان إعجابه شديدا وقويا بشخصية ابن حزم إلى درجة أنه قام بأوفى دراسات كتبت حوله في عصرنا الحديث ، كما يقول الأستاذ الطاهر أحمد مكي (23) . ولما توسم فيه أستاذه كوديرا النبوغ والاستماتة في البحث تنازل له عن كرسي اللغة العربية بجامعة مدريد المركزية سنة 1903/1321 . وتولى مناصب علمية هامة آخرها مدير الأكاديمية الملكية الإسبانية ومدير معهد الدراسات العربية بمدريد (24) .

ولعل من الصعوبة بمكان أن نعدّ الأعمال الكاملة لهذا الرجل الذي جمع بين تأمل الراهب في الكنيسة ، وبين البحث المتواصل في محراب العلم طوال حياته التي امتدت إلى ثلاث وسبعين سنة ، وهي كلها حافلة بالبحث والتنقيب والعطاء (25) . ومن أشهر أعماله : ترجمته كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، وكتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم ، وابن مسرة ومدرسته في التصوف ، ومحيي الدين بن عربي ، وابن حزم الظاهري ، كما عني بأعمال الفلاسفة المسلمين في المشرق والأندلس من أمثال الفارابي وابن سينا وابن باجه وابن طفيل وابن رشد . علما أن الكنيسة كانت تخضع كل كتاباته لتأنيده ، فحاول

(23) ينظر كتاب الطاهر أحمد مكي " الأدب الأندلسي من منظور إسباني، ص 6 .

(24) ينظر كتاب ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي لمحمود علي مكي، ص 11 - 12 .

(25) نشر المستعرب الفرنسي هنري بيريس المختص في الأدب الأندلسي ببليوغرافية أعماله بعنوان " أعمال ميغيل آسين بالثيوس " بمجلة فائتر الدراسات العربية التي كان يديرها لعدة سنوات ، وكانت تصدر بالجزائر ، وقد تضمنت هذه الببليوغرافية ما يزيد على سبعين مؤلفا وبحثا ، مما هو منشور ، بعضها يضم عدة مجلدات .

TRAVAUX DE MIGUEL ASIN PALACIOS : Bulletin des etudes Arabes Bimestriel . 5 année n° 21 Janv. Fev. 1945 . Alger . pp. (14-16).

في كثير من الأحيان أن يحتمل ليكون موضوعا فيما يتناول بالبحث (26). لكن تبقى دراسته التي أصدرها 1919/1338 بعنوان " أثر قصة المعراج في الكوميديا الإلهية لدانتي " (27) من أهم منجزاته الجريئة ، إذ أثارت هذه الدراسة ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والأدبية بأوروبا عامة، وفي إيطاليا خاصة، وسارع الباحثون في ميدان الاستعراب والاستشراق إلى إنكار ما ذهب إليه آسين بالثيوس من تأثير الثقافة العربية الإسلامية في فكر أديب إيطاليا ومبدعها الأكبر " دانتي " ، فطالبته الأقلام الأوروبية بالحجج والبراهين التي تؤكد هذا التأثير. لكن للأسف لم يتمكن العالم آسين بالثيوس من إحضار الدليل الملموس المقنع للأوروبيين ، رغم أن ما قدم من حجج كان من خلال دراساته للفكر الإسلامي ولكوميديا دانتي . وبعد وفاته بخمس سنوات ظهر الدليل القاطع الذي يؤكد نظرية آسين بالثيوس ؛ إذ عثر الباحث الإسباني المستعرب " خوسي مونيوس سِنْدِينو José Moñoz Sendino سنة 1949/1369 على ثلاث ترجمات لقصة المعراج أمر بترجمتها الملك القشتالي ألفونسو العاشر المعروف بألفونسو الحكيم يعود تاريخها إلى سنة 1264/663 ، وقد كتبت بالقشتالية واللاتينية والفرنسية ، مما يدل على أنها كانت واسعة الانتشار على طول مساحة أوروبا التي كانت تتكلم اللغة اللاتينية (28) . ونفس الشيء قال في المفكر النصراني القديس " توماس الإكويني " حين ذهب إلى أن هذا المفكر استفاد من نظريات ابن رشد المتعلقة بالعلاقة بين الشريعة والحكمة ، حين حاول التوفيق بين الدين والعقل (29) .

وكان لهذا المستعرب فضل كبير على تكوين طائفة أخرى من المستعربين بمعية أستاذه خوليان ريبيرا على مدى النصف الأول من القرن 20/14 ، حيث أصبح " بنو كوديرة "

(26) ينظر ما كتبه الطاهر أحمد مكي في كتابه الأدب الأندلسي من وجهة أوروبية، ص6.

(27) La escatologia musulmana en la Divina Comedia . Madrid 1919.

(28) وقد نشر ذلك في كتابه بعنوان معراج محمد :

José Moñoz Sendino : La Escala de Mahoma . Madrid , 1949.

(29) في كتابه تأثيرات الإسلام في فلسفة توماس الأكويني :

Tomas de Aquino , Tormeda , Pascal , San Juan de la Cruz . – Huellas del Islam . Santo Madrid 1941 .

وينظر أيضا كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية : 285/2 ، 313 - 314 .

يشكلون أفواجا من الدارسين الذين ساروا على نهج خوليان ريبيرا وآسين بالثيوس وأستاذهما فرنسيسكو كوديرا. ومن أبرز هؤلاء المستعرب المخلص للحضارة الإسلامية ميكل أنخيل بالانثيا M. ANGEL GONZALES PALENCIA (1889/1307 - 1949/1369) الذي شغل هو أيضا كرسي الأدب العربي في جامعة مدريد المركزية ، وأرتيغا إي غاسيت ORTIGA Y GASSET (1883/1301-1955/1375) المختص في الفلسفة. وتخصص ميننديث بيدال MENENDEZ PEDAL (1869/1286-1968/1388) في تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى، وهو ما مكّنه من الاطلاع -عن قرب- على تاريخ الإسلام وحضارته بالأندلس، وتخصص أيضا سانشيث البورنوث ALBORNOZ SANCHEZ (1893 /1311 - 1939/1399) في تاريخ إسبانيا القديم والوسيط . والشاعر الباحث داماسو ألونسو DAMASO ALONSO (1898 /1316 - 1990/1411) وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم .

والملاحظ أن الأسماء التي قدمناها، كلها تنتمي للجيل الثاني من المستعربين الذين تتلمذوا على يدي كوديرا أو خوليان ريبيرا أو بلاثيوس، إذ إنهم من الذين أدركوا هؤلاء الرواد الثلاثة ، وتكونوا على أيديهم تكوينا يتكامل في مناحي التخصص في تراث الأدب الأندلسي وحضارته وتاريخه وفلسفة علمائه. وفي نفس الوقت كانوا من الذين قاموا بأكبر نهضة تجديدية للفكر الإسباني وأبقاها أثرا .

ويأتي الجيل الثالث من أبناء كوديرا ، أو بالأحرى ممّن يمكن أن يسموا بحفدته الذين ولدوا ونشأوا في القرن 20/14 . ولعل أبرزهم هو شيخ المستعربين الإسبان في النصف الثاني من القرن 20/14 إيميليو غارسيا غومس EMILIO GARCIA GOMEZ (1905 /1323 - 1995/1416). وكان هذا الرجل من أكثر الدارسين الأوروبيين المعاصرين معرفة بالأدب العربي عامة ، والأدب الأندلسي خاصة ، وشغل كرسي اللغة العربية في أكثر من جامعة إسبانية وحاضر في عدة جامعات عربية وأوروبية في الأدب العربي، وحقق عدة كتب أندلسية وترجم الكثير منها إلى اللغة الإسبانية ، في مقدمتها كتاب "طوق الحمامة " لابن حزم ، وكون أجيالا من الدارسين في حقل الاستعراب، إذ سمح له تنقله بين الجامعات

الإسبانية والتدريس بها أن يؤثر في كثير من طلابها⁽³⁰⁾. ومن أبرز هؤلاء الذين ما يزالون يقدمون خدمات للغة العربية في جامعات إسبانيا :

- فريكو كوربينتي F. CORRIENTE المختص في علم اللغة العربية وفقهه وصاحب المعجم الإسباني العربي المشهور .

- سوليداد خيريت فنيش SOLEDAD GIBERET FENECH أستاذة كرسي اللغة العربية وآدابها بجامعة مدريد المختصة في أدب عصر غرناطة. وهي التي حققت

ديوان ابن خاتمة الأنصاري ودرست شعره وموشحاته وترجمتها إلى اللغة الإسبانية .
- خواكين باليه برميخو JOAQUEN VALVE BERMEJO : خلف غارسيا غومس في إدارة مدرسة الأبحاث العربية في مدريد. وأصبح مدير مجلة القنطرة ALQANTARA التي حلت محل مجلة الأندلس عند توقفها سنة 1980/1401 ، وما زالت تؤدي نفس الرسالة التي كانت تقوم بها مجلة "الأندلس" .

- بيدور مونتابيث PEDRO MOONTAVEZ : أستاذ الأدب العربي بجامعة مدريد المستقلة (AUTONOMA) ، والمختص في الأدب الحديث المقارن⁽³¹⁾.

- ماريا خيسوس بيغيرا MARIA JESUS VIGUERA : الأستاذة بجامعة مدريد المركزية ورئيسة شعبة اللغة العربية وآدابها في الوقت الحالي المختصة في ترجمة النصوص وتحقيقتها وتدريس الأدب الأندلسي⁽³²⁾.

- (30) ينظر تقديم د. محمود علي مكي لمحاضرة هذا المستعرب بعنوان " الشعر الأندلسي خلاصة تاريخية موجزة " وترجمتها في كتابه ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي ، وقد خصه بورقة هامة عن حياته العلمية ومسيرته على مدى طول حياته التي امتدت إلى تسعين سنة من العطاء المتواصل ص ص. 12 - 23
- (31) نظرا إلى مكانة الرجل واهتمامه بالقضايا العربية وثقافتها وآدابها ، وفي مقدمتها قضية فلسطين والكوارث التي حلت بالعراق منذ 1991 خصصت جريدة " العلم " ملحقا ثقافيا خاصا تكريما لهذا العالم قدم فيه نخبة من المغاربة العارفين بقضايا الاستعراب الإسباني شهادات عن هذا الرجل وقراءة في بعض أعماله كما أجرت حوارا معه في كثير من قضايا الاستعراب الإسباني . وللمزيد من الاطلاع يراجع الملحق الثقافي المذكور لجريدة العلم ليوم السبت : 16 جمادى الأولى 1423 / 27 يوليو 2002 .
- (32) خصص د. محمود علي مكي ورقة عن سيرة هذه المستعربة أثناء ترجمته مقالها " الصور الشعرية العربية وسوانح غومث دي لاسرنا " في كتابه : ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي ص ص. 37 - 42 .

- ماريّا خيسو روبيرا ماتا M. JESUS RUBIERA MATA : المختصة في الأدب الأندلسي (33).

- مانويلا مارين MANUELA MARIN : أستاذة الحضارة والأدب الأندلسيين في جامعة مدريد المركزية .

والقائمة طويلة ممن ينتسبون إلى مدرسة بني كوديرا وأحفادها وأبناء أحفادها .
الجوانب المشرقة لمدرسة كوديرا الاستعرابية :

- اتسمت مدرسة كوديرا ، في عمومها ، بالإنصاف التاريخي الموضوعي للوجود الإسلامي بالأندلس ، ولا أدل على ذلك من اهتمام أقطابها بتحقيق النصوص التراثية ودراستها وإصدار الأحكام لها أو عليها ، كما هو الشأن في المشروع العلمي الذي رسمه كوديرا .

- يعتبر كل من خ. ريبيرا وتلميذه ميكل آسين بالثيوس وتلميذهما ميكل أنخيل بالانثيا من خيرة الرواد الذين خدموا التراث الأندلسي الإسلامي الثقافي والفكري والحضاري ، رغم بعض التحفظات أو المنزلقات التي نجدها عند الراهب اليسوعي م . آ. بالثيوس والتي كانت - فيما يرجّح - من وحي الكنيسة الكاثوليكية ، لأنه كان واحدا من سدنتها ، لا يستطيع أن ينشر ما يتعارض وتوجهها .

- تعتبر مدرسة بني كوديرا متكاملة الجوانب إذ نجد اهتمام أعضائها بكل الجوانب العلمية والثقافية والفكرية واللغوية والأدبية لتراث الفردوس المفقود ، بالإضافة إلى اهتمام الجيل الأخير بالأدب الحديث والمعاصر في العالم العربي من أمثال بيدرو مونتابيث ، وفيدريكو أريوس .

(33) ورقة عن سيرتها العلمية قدمها أشرف علي دعدور في مقدمة كتابها الذي ترجمه بعنوان : الأدب الأندلسي ط. المجلس الأعلى للثقافة في سلسلة المشروع القومي للترجمة . القاهرة 1998 رقم : 106 ص.ص. 3-7 .

- يعتبر المستعرب م. آسين بالثيوس من أغزر المستشرقين إنتاجا في القرن 20/14 في حقل الفلسفة الإسلامية والتصوف، كما يعتبر تلميذه إيميليو غارسيا غومس أكثر الدارسين الأوروبيين المعاصرين معرفة بالأدب العربي عامة، والأدب الأندلسي خاصة: دراسة وتحقيقا وترجمة .

- ساهمت هذه المدرسة في نشر اللغة العربية في مختلف الجامعات الإسبانية وخصصت لها كراسي علمية إلى حد لا يمكن أن نجد اليوم جامعة إسبانية ليس فيها قسما للدراسات السامية (منها العربية) أو على الأقل حصصا لتدريسها ، زيادة على المنابر العلمية المتعددة التي تعالج قضايا الأدب الأندلسي والحضارة الإسلامية فيها ، من أمثال مجلة الأندلس والقنطرة، وشرق الأندلس ، وأوراق.

- اتسعت اهتمامات المدرسة لتشمل العناية بالنصوص الإسلامية المقدسة كالقرآن والحديث ، إذ نجد أحد روادها البروفيسور خوان فرنيت الأستاذ بجامعة برشلونة الذي أنجز أول ترجمة علمية دقيقة للقرآن الكريم باللغة الإسبانية ، وترجم أيضا ألف ليلة وليلة. وقد اهتم المستعربون الجدد بالثقافة العربية المعاصرة كترجمة الشعر العربي الحديث والمعاصر ، كما هو الشأن في أعمال بيدرو مونتانيث وفيدريكو أريوس اللذين ترجمتا عدة دواوين ومجموعات شعرية لشعراء معاصرين من مختلف الأقطار العربية .

- تحول كثير من هؤلاء المستعربين ، والمعاصرين منهم خاصة ، إلى مدافعين عن القضايا العربية بعد اطلاعهم الواسع على تراث هذه الأمة وتاريخها . ونذكر هنا ما قدمه ويقدمه بيدرو مونتانيث من مقالات في الدفاع عن تاريخ الأمة الإسلامية وقضية فلسطين (34). وكان آخر مقال له بعد أحداث سبتمبر 2001/1422 ، سجل فيه أن الحكم على ما حدث

(34) من إنصاف هذا الرجل ودفاعه عن تاريخ المسلمين بالأندلس أن تصدى لمستشرق أمريكي تجنى على تاريخ المسلمين بالأندلس في مؤتمر التاريخ الإسباني الذي عقد بقرطبة سنة 1976 فوصف تدخله بالجهل المطبق ، وأن إسبانيا ما كان لها أن تدخل التاريخ الحضاري لولا القرون الثمانية التي عاشتها في ظل الإسلام وحضارته . (ينظر كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية : 276/2) .

في هذا اليوم يوجب التساؤل التالي: من الذي يكسب من وراء ذلك الحدث ، ومن الذي يخسر: بطبيعة الحال قضية فلسطين وصورة الإسلام، وأما الكاسب فهما إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية (35).

سليبات هذه المدرسة :

بالرغم مما قدمته هذه المدرسة من خدمات جليلة للتراث العربي الإسلامي قديمه وحديثه، فإن مسيرتها شابتها بعض الأخطاء الصادرة عن بعض المنتمين إليها ، جهلا منهم أو تجاهلا نتيجة النزعة التعصبية الموروثة عن الكنيسة الكاثوليكية بإسبانيا .ونورد هنا بعض الهنات ، منها :

- كثيرا ما أظهر بعض المستعربين الإسبان ما يشبه الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين، سواء كان ذلك في مراحلهم الأولى من الاطلاع على تاريخ الإسلام أم تعمدوا أن يظهروا ذلك تملقا للكنيسة الكاثوليكية ، من ذلك ما صرح به المستعرب مينينديث بيلايو في تعقيبه على الموريسكيين المطرودين من بلادهم الأندلس قائلا : " إنني لا أتردد عن اعتباره تحققا لقانون تاريخي حتمي ، بل إنني لشديد الأسف لكونه قد تأخر إلى هذا الحد ...إنه لمن الجنون أن يتصور المرء أن مجابهات لا رحمة فيها ولا شفقة وصراعات دامية وطويلة بين عرقين مختلفين ، يمكن أن تنتهي بغير إبادة ..." (36).

(35) نقلا عن مقال لمحمد العربي المساري بعنوان " مونتانيث مستعرب حيوي " المنشور بالملحق الثقافي لجريدة العلم عدد 27 يوليو 2002 ، ص 1 . وفي هذا السياق عبر عما يشبه هذا منذ سنوات، موجهة نقده لبني جنسه من المستعربين الإسبان بقوله : " إن عدم الاهتمام الذي يبديه أغلب المستعربين الإسبان بالنهضة الثقافية والاجتماعية والسياسية المعاصرة للعرب، لهو كبير الدلالة . إن الإنتاج الأدبي المتنوع والجدير غالبا ، بالنتمين ، الذي يزدهر اليوم في البلدان العربية ، ونضال أقطار المغرب العربي القريب العهد للتححرر من الاستعمار ، والمأساة الحالية التي يعيشها الشعب الفلسطيني ، كل هذا لا يبدو أنه يحرك فيهم ساكنا ، بل هو يتركهم على ما هم عليه من عدم اكتراث ولا مبالاة (نقلا عن كتاب في الاستشراق الإسباني تأليف خوان غويتسولو تعريب كاظم جهاد، ص 156 . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت 1987 .

(36) ن.م، ص 155.

- وكتب المفكر الإسباني الشهير أورتيغا إي غاسيت واصفا الحياة الثقافية الإسلامية بكونها " جافة وعقيمة لفرط ما هي خاضعة لهيمنة القرآن والصحراء وبأن العرب لم يشكلوا أبدا عنصرا أساسيا في هويتنا القومية " (37).

- وهذا إميليو غارسيا غومس الذي يعتبر من أكبر المستعربين الدارسين للأدب العربي وللحضارة الإسلامية ينطق بنزعة التعصب الكنسي. فعندما يكتب عن الذين أسلموا من السكان الإسبان " يؤكد بثقة على أن هذه الكتلة من المسلمين الصادقين الآتين من العرق الإسباني هي التي أعطت إسبانيا المسلمة وجهها الحقيقي " (38).

- وخوليان ريبيرا الذي وصفناه بالبحث المنصف في دراسة تاريخ الأندلس وحضارته لم تخل كتاباته من بعض هذه السلبيات كقوله : " إن العنصر السامي لم يتدخل إلا بقدر طفيف في تكوين المسلمين الإسبان ، وابتداء من الجيل الثالث والرابع بعد استعادة إسبانيا من المسلمين ، لا يعود بإمكاننا أن ندعوهم ساميين ولا شرقيين " (39).

- وحين درس آسين بالاثيوس ابن حزم حاول أن يرد على دوزي المتعصب في آرائه التي ضمنها كتابه " تاريخ مسلمي الأندلس " ، حين درس شعرا بن حزم في كتابه طوق الحمامة ، وأرجع أصول ابن حزم إلى المسيحية انطلاقا من عفته وطهارة حبه . وإذا بباليثيوس يسقط في ما يشبه آراء دوزي أو أخطر حين أرجع الحب العذري نفسه إلى أصول مسيحية (40).

- على الرغم من نفي بعض المستعربين الإسبان العلاقة بين مدرسة كوديرا الاستعرابية وبين حركة (أو جمعية) المتأفرقين الاستعمارية LOS AFRICANISTAS التي

(37) ن. م .

(38) ن. م ، ص 157 .

(39) المرجع السابق، ص 157 .

(40) تفصيل ذلك في كتاب " دراسات عن طوق الحمامة " للظاهر أحمد مكي، ص ص 153 - 163 . دار المعارف بمصر ط. رابعة 1993 .

كان همها القيام بدراسات عن أوضاع شمال إفريقيا كي تساعد القوة العسكرية على الاستيلاء عليها ، وخاصة المغرب الأقصى⁽⁴¹⁾ ، إلا أنه من الثابت أن كثيرا من هؤلاء كانوا أعضاء في هذه الجمعية التي تحالفت مع السياسة الاستعمارية الإسبانية في احتلال المغرب . فقد وضع هؤلاء دراساتهم في خدمة هذه السياسة ، إذ كان غايانغوس ، وكوديرا من المساهمين في " الجمعية الإسبانية لاكتشاف إفريقيا " ، كما ساهما في تأسيس " جمعية المتأفرقين الاستعمارية " . وكان خوليان ريبيرا من المؤيدين لحضور إسبانيا سلميا في المغرب ، وحين أنشأت الحكومة الإسبانية مجلسا للتعليم في شمال المغرب عقب الحماية المشؤومة سنة 1912/1331 كان كل من خوليان ريبيرا وآسين بالثيوس عضوين فيه ، مما يعني أن أعضاء أو رؤوس هذه المدرسة الاستعرابية ساهموا ، بمعرفتهم للغة العربية ، في التوسع الاستعماري الإسباني بالمغرب شأن المستشرقين الإنجليز الذين رسموا الطريق لبريطانيا في الاستيلاء على المشرق⁽⁴²⁾ .

(41) يقول ب. مونتانيث في حوار معه : " فيما يتعلق بالأفريقية ، أعتقد أنه هنا كذلك توجد بعض الخصوصية ، فالأفريقية الإسبانية هي من جهة من الاستعراب ، لكنها تختلف عنه من جهة أخرى ، ليس فقط في طبيعة الموضوعات التي تناولتها والأهداف التي ترمي إليها وإنما لتوجهات من اهتم بها ، فجلهم من العسكريين وموظفي الإدارة . وكانت العبارة عندهم مرادفة لمصطلح المغرب . وهنا أريد أن أذكر ودون أية غاية للنقد أو رفض لهذا التيار ، أن الأفريقية لم يكن لها أبدا حضور متميز داخل الجامعة " (الملحق الثقافي لجريدة العلم عدد 27 يوليو 2002 ص 8) .

(42) وللمزيد ينظر كتاب " في الاستشراق الإسباني لخوان غويتسولو " ، تعريب كاظم جهاد ، ص 159 وما بعدها .